**المحور السادس**

**تفسير خاتمة السورة: الآيات (38-40)**

**: توصيف لبعض ما يقع في يوم الفصل ، وهي قوله تعالى** ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠) ﴾ [النبأ: 38-40]

**مناسبة الآيات لما قبلها:**

بعد أن وصف الله تعالى وعيد الكفار ووعد المتقين، ختم الكلام بالإخبار عن عظمته وجلاله يوم القيامة، أردفه ببيان أن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وأن الناس فيه فريقان: فريق بعيد من الله، ومصيره إلى النار، وفريق قريب من الله، وتكريمه وثوابه، ومرجعه إلى الجنة .

**غريب الألفاظ الواردة في الآيات:**

- **{يقوم}** والقيام : الوقوف وهو حالة الاستعداد للعمل الجِد وهو من أحوال العبودية الحق التيتُستحق إلا لله تعالى . وفي الحديث : ( من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار[1] ) [2] .

- **{الروح}**[3] اختُلف فيما عنى الله بالروح في هذه الآية على أقوال:

الأول: مَلَكٌ مِن أعظم الملائكة.

الثاني: جبريل ويُستشهد لهذا القول بقوله: {نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين} [الشعراء: 193 - 194]».

. الثالث: خَلْقٌ يُشبه بني آدم.

الرابع: بنو آدم.

الخامس: أرواح بني آدم استشهادا بقوله "يسألونك عن الروح} فالمعنى: يوم تقوم الأرواح في أجسادها إثر البعث ».

. السادس: القرآن استشهادا بقوله {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا}

. السابع: أنهم حفظة على الملائكة.

وهذه الأقوال سببها الاحتمال القائم لجميعها؛ وعدم وجود نص صريح في تفسيرها؛ ولذلك جوّز ابنُ جرير الطبري (24/ 50) هذه الأقوال، ولم يقطع بقولٍ منها؛ لصحتها، وعدم الدليل على التعيين».

والأرجح أن يكون المقصود به جبريل عليه السلام: يقول محمد عطية سالم: وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [97 \ 4] ، فَفِيهِ عَطْفُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الرُّوحِ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَفِي سُورَةِ «الْقَدْرِ» عَطْفُ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.[4]

3- **{صفّا}** والصف اسم للأشياء الكائنة في مكان بجانب بعضها بعضا كالخط .

4- **{من أذن}** الإذن : اسم للكلام الذي يفيد إباحةَ فعل للمأذون ، وهو مشتق من : أَذِن له ، إذا استمع إليه، ثم استعمل في لازم السمع وهو الرضى بالمسموع [5] .

5- **{صوابا}** أي: سدادًا من الفعل والقول، والصواب: ضد الخطأ ، ومعنى الصواب: شهادة أن لا إله إلا الله في قول ابن عباس. والمفسرون قالوا: هو التوحيد، ونفي الشرك، وتنزيه الله عزَّ وجلَّ عن كل فرية[6]. ؛ قال مجاهد في تفسير {صَوَابًا}: «قال حقّاً في الدنيا وعمل به".

{ذلك اليوم الحق} أي الكائن الواقع، يعني يوم القيامة. أي: الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه، ولا عاطف يثنيه؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ [الذاريات: 6] [7]

---

[1] رواه الترمذي في سننه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، برقم: 2979 .

2 التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (30/ 51)

[3] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (24/ 175-177)؛ ورجّح ابنُ كثير (8/ 310) موسوعة التفسير المأثور 22/ 639؛ تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص31

[4] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 8/ 413 ط الفكر

5 التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (30/ 52)

[6] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (2/ 357)؛ التفسير البسيط 23/ 148 تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص32

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْحَقِّ مَا قَابَلَ الْبَاطِلَ، أَيِ الْعَدْلُ وَفَصْلُ الْقَضَاءِ.
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ بِمَعْنَى الْحَقِيقِ بِمُسَمَّى الْيَوْمِ. وَالْمَعْنَى: ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي يَحِقُّ لَهُ أَنْ يُقَالَ: يَوْمٌ، وَلَيْسَ كَأَيَّامِ انْتِصَارِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ[8].
**{اتخذ إلى ربه}** وَالِاتِّخَاذُ: الِاكْتِسَابُ وَالْجَعْلُ، أَيْ لِيَقْتَنِ مَكَانًا بِأَنْ يُؤْمِنَ وَيَعْمَلَ صَالِحًا لِيَنَالَ مَكَانًا عِنْدَ اللَّهِ[9]..
6- **{مئابا}** من الأَوْبُ: وهو ضرب من الرجوع، يقال: آب أَوْباً وإِيَاباً ومَآباً [10] .
7- **{أنذرناكم}** والإنذار : الإخبار بحصول ما يسوء في مستقبل قريب .
**{يوم ينظر المرء}** يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَظَرِ الْعَيْنِ أَيِ الْبَصَرِ، وَالْمَعْنَى: يَوْمَ يَرَى الْمَرْءِ مَا قَدمته يَدَاهُ. وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ [الزلزلة: 6] ، وَقَدْ يؤيده قَوْلِه تَعَالَى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً [آل عمران: 30] الْآيَةَ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَظَرِ الْفِكْرِ،، أَيْ يَوْمَ يَتَرَقَّبُ وَيَتَأَمَّلُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَتَكُونُ (مَا) عَلَى هَذَا الْوَجْهِ استفهامية وَفعل ينْظُرُ مُعَلَّقًا عَنِ الْعَمَلِ بِسَبَبِ الِاسْتِفْهَامِ، وَالْمَعْنَى: يَنْظُرُ الْمَرْءُ جَوَابَ مَنْ يَسْأَلُ: مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ؟
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الِانْتِظَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ [الْأَعْرَاف: 53][11].
8- **{المرء}** اسم للرجل مؤنثُه امرأة، والمقصود هنا الذكر والأنثى، لأن الشريعة شاملة لعموم المكلفين الرجال والنساء إلا ما خُص [12]؛ واختلف في المراد به هنا قيل:
القول الأول: أنه المؤمن قاله الحسن البصري، أي: ليجد لنفسه عملاً، فأمَّا الكافر فلا يجد لنفسه عملاً، فيتمنى أن يكون تراباً، ثم قال بعدها {وَيَقُولُ الكافر} فعلم أنه أراد بالمرء المؤمن.
القول الثاني: المراد هنا أبيُّ بنُ خلفٍ، وعُقبَةُ بنُ أبي معيط، ويَقول الكافِرُ: أبو جهل.
القول الثالث: هو عام في كل أحد يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسبَتْ[13].
**إعراب الآيات:**
**{لَا يَمْلِكُونَ}** الضمير لأهل السموات والأرض.
وقيل: إن الضمير في قوله: {لَا يَمْلِكُونَ} عائد على المشركين، قاله عطاء عن ابن عباس؛ أي: لا يخاطب المشركون الله، أما المؤمنون .. فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم، وقيل: عائد على المؤمنين؛ أي: لا يملكون أن يخاطبوه في أمر من الأمور لعلمهم أن ما يفعله عدل منه[14]..
**و{مِنْ}** في قوله: {مِنْه} صلة للتأكيد على طريقة قولهم: بعت منك؛ أي: بعتك.
**{يوم يقوم الروح والملائكة صفًا}**؛ الواو حالية أي حال كونهم مصطفين لكثرتهم صفًا واحدًا، وقيل: هما صفان: الروح صف، والملائكة صف، وقيل: صفوف، وهو الأوفق لقوله تعالى: {وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[15]..
**{وقال صوابا}** يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ اسْمِ الْمَوْصُولِ، أَيْ وَقَدْ قَالَ الْمَأْذُونُ لَهُ فِي الْكَلَامِ صَواباً؛ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَطْفًا عَلَى جُمْلَةِ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ، أَيْ وَإِلَّا مَنْ قَالَ صَوَابًا فَعُلِمَ أَنَّ مَنْ لَا يَقُولُ الصَّوَابَ لَا يُؤْذَنُ لَهُ[16].
**( فمن شاء اتخذ)** الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط محذوف، وَالتَّقْدِيرُ: فَإِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ فَمَنْ شَاءَ اتِّخَاذَ مَآبٍ عِنْدَ رَبِّهِ فَلْيَتَّخِذْهُ[17]..

---

[7] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 43 ؛ التحرير والتنوير 30/ 53؛ التحرير والتنوير 30/ 53. التفسير البسيط 23/ 149
[8] التحرير والتنوير 30/ 53.
[9] التحرير والتنوير 30/ 53.
[10] المفردات في غريب القرآن (ص: 97)
[11] التحرير والتنوير 30/ 57
[12] التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (30/ 55-56)
[13] اللباب في علوم الكتاب 20/ 119
[14] **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 40**
[15] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 41
[16] التحرير والتنوير 30/ 53

قوله: {مَا قَدَّمَتْ} يجوزُ أَنْ تكونَ استفهاميةً، فتكونُ الجملةُ في موضعِ نصبٍ على إسقاط الخافضِ، وأَنْ تكونَ موصولةً مفعولاً بها، والنظرُ بمعنى الانتظار، أي: ينتظرُ الذي قَدَّمَتْه يداه[18].
، و **(يقول الكافر)**عطف على ينظر المرء، ولك أن تجعلها مستأنفة أو حالية [19] .
**{يا ليتني كُنْتُ تُرَابًا}** في الدنيا، فلم أخلق، ولم أكلف، وهو في محل رفع على أنه خبر {ليت}، أو ليتني كنت ترابًا في هذا اليوم، فلم أبعث ، كقوله: {لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ} إلى قوله: {يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27)}، وقيل: يحشر الله الحيوان، فيقتص للجمّاء من القرناء نطحتها؛ ا، فيود الكافر حاله، ما قال - صلى الله عليه وسلم -: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء"[20].
**بلاغة الآيات:**
**1- (الرحمن)** وفي ذكر هذه الصفة الجليلة تعريض بالمشركين إذ أنكروا اسم الرحمن الوارد في القرآن كما حكى الله عنهم بقوله{وما الرحمن } الفرقان: ٦٠ .
**(لا يملكون )** عامّ في جميع الناس لأنه في سياق النفي كما تعمّ النكرة المنفية. **(وخطابا )**عام أيضا وهو من العام المخصوص بمخصّص منفصل هو قوله {إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا}.
**(الروح)** تخصيص جبريل بالذكر قبل ذكر الملائكة المعطوف عليه لتشريفه[21]
**وَفِعْلُ وَقَالَ صَواباً** مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى الْمُضَارِعِ، أَيْ وَيَقُولُ صَوَابًا، فَعُبِّرَ عَنْهُ بِالْمَاضِي لِإِفَادَةِ تَحَقُّقِ ذَلِكَ، أَيْ فِي عِلْمِ اللَّهِ.
**وَإِطْلَاقُ صِفَةِ الرَّحْمنُ** عَلَى مَقَامِ الْجَلَالَةِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ إِذْنَ اللَّهِ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْكَلَامِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ لِأَنَّهُ أَذِنَ فِيمَا يَحْصُلُ بِهِ نَفْعٌ لِأَهْلِ الْمَحْشَرِ مِنْ شَفَاعَةٍ أَو اسْتِغْفَار[22].
**4- (فمن شاء)** فيها وعيد وتهديد [23].
وَالْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: **{ذَلِكَ}** إِلَى الْيَوْمُ الْمُتَقَدَّمِ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً} [النبأ: 17] . التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِ حَقِيقٌ بِمَا سَيُوصَفُ بِهِ بِسَبَبِ مَا سَبَقَ مِنْ حِكَايَةِ شُؤُونِهِ.
**{الْيَوْمُ الْحَقُّ}** بتعريف الْيَوْمِ بِاللَّامِ لِلدِّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى الْكَمَالِ، أَيْ هُوَ الْأَعْظَمُ مِنْ بَيْنِ مَا يَعُدُّهُ النَّاسُ مِنْ أَيَّامِ النَّصْرِ لِلْمُنْتَصِرِينَ لِأَنَّهُ يَوْمٌ يُجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَيُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ[24]..
**(الْمَرْءُ)** تَعْرِيفُه لِلِاسْتِغْرَاقِ مِثْلَ {إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ } [الْعَصْر: 2- 3] [25]..
**(ما قدمت يداه)** كناية عن كسبه في الدنيا من خير وشر، وعبر بهما لأن أكثر الأعمال يقع بها، وإن احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام.[26] .
**{قريبا}** قُرْبُ الْعَذَابِ مُسْتَعْمَلٌ مَجَازًا فِي تَحَقُّقِهِ وَإِلَّا فَإِنَّهُ بِحَسَبِ الْعُرْفِ بَعِيدٌ، قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَراهُ قَرِيباً [المعارج: 6، 7] ، أَيْ لِتَحَقُّقِهِ فَهُوَ كَالْقَرِيبِ[27] ..
(ما قدمت يداه) أي يشاهد كل ما قدمه من خير أو شر .
**7-(ويقول الكافر يليتني)** وخص قول الكافرين دون المؤمنين بالذكر ليدلّ على غاية الخيبة ونهاية التحسر، ودلّ حذف قول المؤمن على غاية التبجح ونهاية الفرح مما لا يحيط به الوصف[28] .
وَخُصَّ بِالذِّكْرِ مِنْ عُمُومِ الْمَرْءِ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ الَّذِي يَقُول: الْيَتَنِي كُنْتُ تُراباً لِأَنَّ السُّورَةَ أُقِيمَتْ عَلَى إِنْذَارِ مُنْكِرِي الْبَعْثِ فَكَانَ ذَلِكَ وَجْهَ تَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ.

---

[17] التحرير والتنوير 30/ 54.
[18] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10/ 666
[19] إعراب القرآن وبيانه (10/ 359)، الجدول في إعراب القرآن (30/ 222)
[20] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 45
[21] التحرير والتنوير (30/ 49-51)
[22] البحر المحيط في التفسير (10/ 390)
[23] البحر المحيط في التفسير (10/ 390)
[24] التحرير والتنوير 30/ 54
[25] التحرير والتنوير 30/ 57
[26] فتح البيان في مقاصد القرآن 15/ 46
[27] التحرير والتنوير 30/ 56
[28] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (16/ 261)

أَيْ يَوْمَ يَتَمَنَّى الْكَافِرُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِنَ الْأَحْيَاءِ فَضْلًا عَنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ، أَيْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُدْرِكٍ وَلَا حَسَّاسٍ بِأَنْ يَكُونَ تُرَابا، وَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: {أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ [الْإِسْرَاء: 98] فَجَعَلَ اللَّهُ عِقَابَهُمْ بِالتَّحَسُّرِ وَتَمَنِّي أَنْ يَكُونُوا مِنْ جِنْسِ التُّرَابِ[29].

هَذِهِ الْآيَةُ الأخيرة: جَامِعَةٌ لِمَا جَاءَ فِي السُّورَةِ مِنْ أَحْوَالِ الْفَرِيقَيْنِ ففيها رَدُّ الْعَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ وَبِذَلِكَ كَانَ خِتَامُ السُّورَةِ بِهَا بَرَاعَةَ مَقْطَعٍ[30]..

**سابعا: المعنى الإجمالي للآيات:**

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ. أي: خالِقِ ومالِكِ ومدَبِّرِ السَّمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما مِن المخلوقاتِ، الرَّحمنِ الَّذي وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ

لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا. أي: لا يَقْدِرُ أحَدٌ مِنَ الخَلْقِ على مُخاطَبةِ اللهِ -سُبحانَه وتعالى- يومَ القيامةِ بلا إذْنٍ، كما قال الله تعالى :يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ] هود: 105. [

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا38.(

لَمَّا ذَكَر أنَّ أحَدًا مِنَ الخَلْقِ لا يُمكِنُه أن يُخاطِبَ اللهَ في شَيءٍ؛ قرَّر هذا المعنى وأكَّدَه، فقال{ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا.؛ أي: وذلك واقِعٌ يَومَ يقومُ جِبريلُ وجميعُ الملائِكةِ مُصْطَفِّينَ بخُضوعٍ للهِ تعال كما قال الله تبارك وتعالى{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ] الشعراء: 192-193. [؛ وقال سُبحانَه :وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] الفجر: 22. [

لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا: أي: لا يَتكَلَّمونَ يومَ القيامةِ إلَّا مَن أَذِنَ اللهُ له في الكلامِ، وقال قَولًا حَقًّا صائِبًا مُوافِقًا لِمَرْضاةِ اللهِ تعالى ، وفي الصحيح: أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو أول من يكلم الله عز وجل في الموقف، حيث يأتي تحت العرش فيخر ساجدا فلا يزال ساجدا يحمد الله تعالى بمحامد يُلْهِمُهَا ساعتئذ فيقول له الرب تعالى: (ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع)[31] .

{ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} (39: لَمَّا قَرَّر أحوالَ المكَلَّفينَ في دَرَجاتِ الثَّوابِ والعِقابِ، وقَرَّر عَظَمةَ يومِ القيامةِ؛ قال بَعْدَه {ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ} أي: ذلك اليَومُ العَظيمُ كائِنٌ لا مَحالةَ، ولا شَكَّ في وُقوعِه {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبً} أي: فمَن شاء عَمِلَ عَمَلًا صالِحًا يَرجِعُ به إلى اللهِ تعالى؛ كما قال تعالى{ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] الإنسان: 29-30.[

{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40 أي: إنَّا حَذَّرْناكم -أيُّها النَّاسُ- عَذابًا قد دنا وقرُبَ منكم كما قال تعالى:{ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا] المعارج: 6-7. [؛ وقال سُبحانَه{ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا] النازعات: 46. [

{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} أي: وذلك يومَ يَنظُرُ كُلُّ إنسانٍ إلى ما عَمِلَه في حياتِه؛ كما قال تعالى :يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا] آل عمران: 30. [؛ وقال سُبحانَه{ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] الزلزلة: 6 - 8. [

{وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} أي: مُتحَسِّرًا يومَئِذٍ: {يا لَيْتَني كُنتُ تُرابًا} كما قال تعالى{ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا] النساء: 42[

**ثامنا: الأحكام والفوائد المستنبطة من الآيات :**

1- لله تعالى في الدنيا والآخرة صفتان عظيمتان: هما العظمة والجلال فهو ربّ السموات والأرض والكون، والرحمة الشاملة لكلّ شيء، فهو الرحمن الرحيم.

2- اقتضت عظمة الله ألا يقدر أحد على مخاطبته يوم القيامة إلا لمن أذن له بالشفاعة.

---

[29] التحرير والتنوير 30/ 58

[30] التحرير والتنوير 30/ 58

[31] رواه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب عز و جل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم: 7071 .

3- لا يتكلم جبريل والملائكة في موقف القيامة إجلالا لربّهم وخوفا منه وخضوعا له، فكيف يكون حال غيرهم؟ .
وإنما يكون الكلام ضربًا من التكريم لمن يؤذن له، ويختص به، ولا أثر له فيما أراده ألبتة[32].
4- يوم القيامة كائن واقع حتما لا شك فيه، فالسعيد من اتّخذ فيه إلى ربّه مرجعا بالإيمان والعمل الصالح.
5- يوم القيامة وما فيه من العذاب قريب الوقوع لأن كلّ آت قريب، وفيه يجد كلّ إنسان ما قدم من خير أو شر. ويوم القيامة قريب، ولو بقيت الدنيا ملايين السنين فإنه قريب {كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها} [النازعات: 46] . فهذا العذاب الذي أنذرنا الله قريب، ليس بين الإنسان وبينه إلا أن يموت، والإنسان لا يدري متى يموت لذلك فالأمر قريب جدا[33]..
6- يتمنى الكافر يوم القيامة لما يرى من أنواع العذاب أن يكون ترابا أو حيوانا غير مكلّف بشيء[34].

[32] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 43
[33] تفسير العثيمين: جزء عم ص37
[34] التفسير المنير للزحيلي (30/ 29) .